رغم قتلهم لأحلامك سيأتي النور حتما

فاطمة رشاد

لا تبكي أيتها المرأة المسكونة بأربعة جدران تحملين همك وحزنك وحدك وتحلمين أن تخرجي من تلك العادات التي فرضت عليك وقالوا لك أنها عرف لابد أن تعيشيها بكل ما تحمل من ظلما لك ..

اعرف انك ترسمين أحلامك كل يوم وعلى جدران المنزل ولكن حين تكبر أحلامك لا تجدين من يستطيع أن يساعدك في تحقيقها وانك لاتخبرين أحدهم بها خشية أن يقولوا لك أنها أحلام شاردة كيف حلمت بها رغم القيود التي نفرضها عليك؟ .. فتصير أحلامك في مكان منسي تخافين كل الخوف انك لن تصلي إليها وحين تحاولين أن تطالبي بأن تكون أحلامك على أرض الواقع ستجدين كل الأبواب موصدة حولك والعيب والجرم الذي ترتكبينه انك تطالبين بأبسط حق تريدينه في الحياة ..

هي حياة المرأة هكذا في مجتمعاتنا الشرقية رغم أن كل الحقوق لك قد شرعت ونزل بها كتاب الله وتمت التشريعات السماوية ولكنك تدركين بعد قراءة كل آية تخصك أن هناك من يحاول أخذ حقك ويحور ماجاء في النص الشريعي لصالحه بكل سهولة وبساطة إذن !! ممنوع عليك المطالبة بحقك بعد اليوم هكذا تأتيك أجوبتهم تجاه ما تريدينه منهم من حق ..

كثيرة هي قصصك الحزينة التي تتكرر بكل ما تحمل من قسوة وبكل ما تحمل من عنف تجاهك وكثيرة هي الآلام التي تحتوي جسدك، فرغم كل العنف الذي تتعرضين له إلا انك تحاولين الاستمرار بأبسط الأشياء التي تملكينها وعلى قدر الحرية الممنوحة لك تتحركين حتى لا تغضبي الرجل في منزلك والذي أخذ المسؤولية ليتولى السيطرة عليك ورصد كل شيء يخصك حتى أحلامك تصير ملكه ولا تستطيعين أن تحصلي عليها وتعيشين إما في هامش حياتي أو انك لا تكونين إلا جسداً كلما فاق من الصدمة تدخلين في صدمات كثيرة ..

في كل جريمة أدرك أنك تجدينه دائماً وراءها قلتها يوماً وأنا استشعر آلام النساء من حولي لأدرك أن حياة المرأة أشبه بمسلسل تتكرر مشاهده بكل إتقان.

في كل منزل تكثر حوادثك أيتها المرأة ... وهناك من يتسلى بكل ما تشعرين به ... وهناك من يريدك أن تقفي صامتة تجاه حقك ويحملك عتبات الزمن انك جئت إلى الحياة أنثى ... وعلى ذكر الأنثى تجدين نفسك مطالبة بأن تأتي بالطفل الذكر حتى وإن كنت لست السبب في تحديد النسل فأنت الملامة الأولى في كل شيء أنت السبب في ... هناك من جنسك من تصل إلى حد الجنون وهناك من تقرر إنهاء حياتها بالانتحار وهناك من ترضى بان تعيش حياة الهامشية هم يقررون عنك كيفما يشاءون أنت ملكهم منذ تلك اللحظة التي تدركين ماذا تعني لهم حياتك لا تقلقي إذا أدخلوك متاهتهم فانا أثق انك ستعرفين في يوم من الأيام الأمل الذي تعيشين لأجله ... أعرفك أيتها المرأة بأنك قوية لا تتحملين العنف وسوف تخرجين إلى عالم يحتوي حلمك البريء الذي تحلمين به ولا تخافي أن وضعوا في يديك مليون قيد وقيد فانك حتما ستنفضين غبار تلك العادات التي فرضوها وقرروا أن يحبسوك فيها ستكونين حتماً ما تريدينه.. في يومك الآخر وستبتسمين رغم الظلام المحيط بأحلامك البريئة أثق بك كثيراً وبأن النور الذي تريدينه في حياتك سيأتي إلى غرفتك التي قرروا أن تكون معتمة على مر الزمن.

شخصيات مجتمعية:

الرجل يتمادى في ممارسة العنف عندما يجد المجتمع يشجعه على ذلك

العنف خطأ يجب التصدي له ومن يمارسه واقع تحت تأثير العادات والتقاليد التي تقلل من شأن المرأة

التصرف السلبي للمرأة يرهق الرجل ويدفعه إلى استخدام العنف ضدها

ريبورتاج/ محمد فؤاد راشد

بين فترة وأخرى نسمع قصصاً تعبر عن ظاهرة العنف الأسري في مناطق مختلفة من بلادنا، مع وجود اختلاف نسبي من منطقة إلى أخرى. وتعد العادات والتقاليد المتوارثة التي تعزز السيطرة الذكورية، سببا في ازدياد هذه الظاهرة..وما يساعد على ذلك عدم وجود قوانين فاعلة تحمي المرأة، وقد ذهب عدد كبير من النساء ضحية لهذا القانون.

كما ان الأوضاع غير المستقرة، سياسياً واقتصادياً، عامل مساعد على ازدياد العنف الأسري، لما تسببه من تأزم في الحالة النفسية لأفراد الأسرة، ومنه يتولد العنف الذي تكون المرأة أول ضحاياه. ففقدان أبسط الخدمات مثل الأمن والماء والكهرباء، وحرمان الأسرة من الترفيه في الأماكن العامة، فضلاً عن البطالة المتفشية، كل ذلك يجعلها حبيسة البيت، وبالتالي خلق أجواء متوترة تولد العنف بأشكال مختلفة.

جاء في الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد النساء في مادته الأولى "يقصد بالعنف ضد النساء أي فعل عنيف قائم على أساس الجنس ينجم عنه أذى أو معاناة جسمية أو نفسية للمرأة، بما في ذلك التهديد باقتراف مثل هذا الفعل، أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء وقع ذلك في الحياة العامة أو الخاصة". من هنا استطلعنا رأي عدد من الرجال والنساء ومن شرائح مختلفة عن أسباب ازدياد ظاهرة العنف، فكانت اللقاءات كالتالي:

يقول الأخ سمعان (معلم): "مبدئيا ممارسة العنف خطأ يجب التصدي له. واعتقد أن من يمارس العنف واقع تحت تأثير العادات والتقاليد التي تقلل من شأن المرأة، خاصة إذا كان تحت وطأة الظروف الاقتصادية الصعبة، أو تحدي المرأة له أحيانا ومعارضتها لتصرفات الرجل الذي تربى في أحضان مجتمع ذكوري".

أما المواطن رزاق عبيد فيعزو هذه الظاهرة إلى تشجيع المجتمع فيقول: "يتمادى الرجل في ممارسة العنف عندما يجد المجتمع يشجعه على ذلك".

ويحاول مجيد ناصر (محاسب) أن يلقي باللائمة على المرأة: "يتصف بعض النساء بالسذاجة وقلة الوعي بالرغم من الشهادة الدراسية، مما تجعل الرجل كثير الانفعال ولكن لا تصل إلى الضرب والشتيمة، ويفترض أن تعامل بحب وحنان لأنها شريكة في الحياة الزوجية".

المرأة السلبية والعنف

ويؤكد باسم صالح على ثقافة الفرد فيقول: "لو كان الطرفان في مستوى عال من الوعي والتفهم لما ظهرت هذه الحالات، فضلا عن العوامل الاقتصادية والنفسية.. وفي بعض الأحيان يكون تصرف المرأة سلبيا يرهق الرجل ويزيد من حجم المشاكل ويدفعه إلى استخدام العنف ضدها، من خلال تصرفاتها وسلوكياتها نتيجة ضغوط البيت والأطفال أو الغيرة المفرطة". وأضاف: "في رأيي هذا خطأ كبير يجب التصدي له من خلال التوعية والتعامل بشكل ودي لمواجهة ظروف الحياة ومصاعبها".

بينما يرجع وجدان عبد العزيز (سائق باص) هذه الظاهرة إلى تطور المجتمع ورقيه فيقول: "ينظر المجتمع للمرأة على أنها عورة، في الوقت الذي يجب أن ينظر لها على أنها إنسان له حقوق وعليه واجبات مثل الرجل، وكلما كانت المجتمعات فقيرة وبعيدة عن التطور والرقي ارتفعت نسب العنف". وأضاف: "للعنف ضد المرأة جانبان احدهما يتعلق بالرجل ومدى تعليمه وفهمه للحياة ودور المرأة، والأخر يتعلق بالمرأة نفسها ومدى تعلمها وثقافتها ومتى تكون قوية ومتى تكون خانعة ذليلة أمام الرجل، أي بمعنى لا بد من منظومة ثقافية متكاملة لإدراك كل من المرأة والرجل لدورهما بالحياة".

عنف قبلية ديني

يرجع ناجي خريج جامعي ليعزو سبب العنف إلى المجتمع فيقول: "أن المرأة في بلادنا والمجتمع الشرقي بشكل عام، خاضعة لطبيعة العلاقات السائدة في مجتمع يتصف بأنه قبلي ديني، وهذا يبرر كون المرأة مضطهدة اضطهادا مركبا". وأضاف: "ضعف المرأة في مواجهة العنف وصده، وقلة المنظمات الإنسانية المساندة لها وعدم فاعليتها، كما وان قوانين الأحوال الشخصية التي تعزز سيادة الرجل وتساعد على استلاب حقوق المرأة، كلها عوامل تساهم في جعل المرأة كائناً ثانوياً بدل من كونها أساسا في بناء المجتمع".

وتؤكد حميدة (كوافيرة) مرة أخرى على وعي الطرفين بدوريهما فتقول: "بحكم العادات والتقاليد الاجتماعية والقبلية والنظرة الدونية للمرأة، تطغى ذكورية الرجل وتسلطه. وكذلك ضعف نساء كثيرات وقبولهن بالعنف، كل ذلك يعود إلى قلة الوعي لدى الطرفين".

إما سامية سامي (معلمة) فتقول: "يمارس الرجل العنف عندما تقصر المرأة في تلبية احتياجاته، من دون أن يقدر أسبابها".

إيمان ياسين (مربية أطفال) تقول: "يعنّف الرجل المرأة عندما يكون مهزوما ويشعر بالضعف، أما نتيجة وضع اقتصادي أو مشكلة عاطفية، أو بسبب إحساسه بالذنب نتيجة الخيانة، أو الشعور بالنقص أمام اختلاف في المستوى العلمي أو الاجتماعي أو الثقافي بينه وبين زوجته، وفي حالات أخرى قد يعاني من مرض نفسي".

الرجل الضعيف عنيف

وتشترك شذى قاسم (منظمات مجتمع مدني) في الرأي مع إيمان فتقول: "يمارس الرجل العنف ضد المرأة عند شعوره بالضعف والنقص أمام المجتمع فيتولد لديه شعور بضرورة سد هذا النقص عن طريق فتل عضلاته على المقربين منه كالأم أو الأخت أو الزوجة وحتى الأطفال".

نأمل بعد أن استعرضنا بعض أسباب العنف ضد المرأة، أن تسن القوانين التي تحمي المرأة وتصون كرامتها، وان تفعل القوانين التي تحد من هذه الظاهرة.. ونرجو أن نصل إلى اليوم الذي تختفي فيه العادات البالية التي طالما انتهكت حقوق وحرية الكثير من النساء. وندعو جميع المنظمات المعنية بحقوق المرأة إلى العمل بشكل دؤوب للنهوض بواقع المرأة.